طلاب الحلقات والتربية بالقرآن

٢١/ ٧/ ١٤٣٨هـ

كنتُ في بواكير العمر ممن تشرّف بارتياد الحلقات طالبًا، ثم درّسُت فيها بضع سنين، ثم تشرّفت من سنوات بالإشراف العام على مجمّع حلقات الجامع الذي كنتُ أخطب فيه؛ فخرجتُ من هذه التجربة بقناعة تامة: أن الحلقات في واقعها -الذي عشته طالبًا فمدرسًّا فمشرفًا- في حاجةٍ ماسةٍ إلى ما يربطهم بالقرآن عملًا وسلوكًا؛ ليحقّقوا أو يقاربوا المنهجَ الذي سار عليه النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تربية الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالقرآن، ثم ربّوا عليه التابعين، الذين اختصر منهجَهم التابعيُّ الجليل أبو عبدالرحمن السُّلَمي بقوله: حدّثنا من كان يقرئنا من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنهم كانوا يقترئون من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل، قالوا: فعلمنا العلم والعمل[1]؛ فخرجت تلك الأجيالُ العظيمةُ، التي فتح الله بها القلوبَ قبل الأبدان.

(١) رواه أحمد. ط الرسالة (٣٨/ ٤٦٦) (رقم٢٣٤٨٢).

والمتأمل في واقع الحلقات وواقع طلابها يرى في كثيرٍ منهم فجوةً بينهم وبين ما ينبغي لحامل القرآن، «فأهل القرآن ينبغي أن تكون أخلاقُهم مباينة لأخلاق من سواهم»[1]، لا ليتأثروا فقط؛ بل ليُؤثّروا فيمن حولهم.

وطلابُ الحلقات جزءٌ من المجتمع الذي تأثّر بالإعلام التقليدي والجديد؛ فصار من المهم -والحال هذه- بل من الضروري أن يكون هناك تعاونٌ بين مجمعات الحلقات وبين طلاب العلم الذين فتح الله عليهم في تدريس كتاب الله، وتفسير معانيه، والتربية بآياته؛ بحيث يرتّب مع الشيخ لإقامة درسٍ في التفسير والتدبر؛ ليحقّق الغاية التي نزل لأجلها القرآن، ألا وهي: صلاحُ القلوب، وتعبيدُها لربّها، ويركّزُ على المعاني الإيمانية والتربوية والسلوكية، مع مراعاة الطبقة المخاطَبَة، فطلاب المتوسط ليسوا كطلاب الثانوية، وهؤلاء ليسوا كطلاب الجامعة، وخطاب أهل المدن ليس كخطاب أهل القرى.

ولن يجد الشيخُ عناءً في إيصال رسالته متى ما حمل الهمّ، فأسماء الله وصفاته، والقصص -وخاصة قصص الأنبياء- والحديث عن اليوم الآخر، والعبادات القلبية، وغيرها كثير، كلها ميدانٌ رحبٌ للانطلاق في تربية النشء على كتاب الله.

وسيكون لهذه الدروس أكبر الأثر بعون الله إذا التزم بها الشيخُ، وواظب الطلابُ المستهدَفون على حضورها، وتم تفعيلُ الاستفادة من الدرس بسؤالٍ أو مسابقةٍ، أو تقاريرَ ميدانيةٍ، أو غيرها من الوسائل التي

(١) قاله الآجري في (أخلاق أهل القرآن) (ص١٠٢).

تجذب الطلاب، وتحفّزهم على الانتظـام، ومِن ثَم: التفاعل الإيجابي مع هذه الدروس.

ويمكن ربطها ببثٍّ مباشر؛ لينتفع بها مَن لا يجد في بلده مَنْ يحملُ همّ الشباب وتربيتهم بكتاب الله، ومعالجة السلوكات الخاطئة من خلاله، ثم نشرها بعدُ عبر وسـائل التواصل الاجتماعي، ولَربّ درسٍ ألقاه الشيخُ في مسـجده، ولم يحضره إلا عشرون طالبًا، انتفع به آلافٌ وأضعافهم من وراء البحار، بل ما زالوا في أصلاب آبائهم! وبقدر الإخلاص وحسـن الإعداد يَعظُم الأثَر.

ومن المستحسن أن يكون هذا الدرس على شكل دورةٍ علمية طويلة المدّة نسـبيًّا -كسـنتين أو ثلاث- وتكون أهدافه ومدّته وعدد مجالسـه واضحةً للشيخ وللطلاب، بحيث تقسّم الدروس على الموضوعات التي تلبّـي الحاجات الإيمانية والتربوية لدى طلاب الحلقات، يجتهد الشـيخ في الإعداد لها، وليسـت مجرد خواطر يكتبها على ورقة صغيرة عند عتبة المسـجد، ويبثها كيفما اتفق! ويمكن وضع اختبارات يسـيرة، وجوائز محفّزة، وغيرها من الوسائل.

وإنّ سـورَ جزءِ المفصّلِ لمن خير ما يُبْدأُ به، وهدي السـلف في هذا معروف.

ختامًا، في حلقاتنا علماء كبار في أجسـام صغـار، ودعاة أفذاذ داخل أثواب صغيرة، ومجدّدون لهذا الدين لم يلبسـوا العمائم والغتر، فهنيئًا لمن كان سببًا في بنائهم وتربيتهم بالقرآن.